

**خطبة الجمعة القادمة ٢ ربيع الأول ١٤٤٣هـ الموافق ٨  
أكتوبر ٢٠٢١ م بعنوان فضل الشهادة ومنزلة الشهيد  
وفلسفة الحرب في الإسلام**

**العناصر:-**

- 1 - **منزلة الشهداء عند الله تعالى .**
- 2 - **الحكمة من الحرب .**
- 3 - **مبادئ الإسلام في الحرب .**
- 4 - **نماذج للصحابة في تطبيقهم لمبادئ الحرب .**
- 5 - **رسالة للإرهابيين الذين ضلَّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم  
يحسبون أنهم يحسنون صنعا .**

\*\*

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد عليه  
أفضل الصلاة وأتم التسليم.

أما بعد :-

أحبتني في الله :- كلما يقبل علينا هذا الشهر الذي نحن بصدده يذكرنا بحرب  
السادس من أكتوبر. هذه الحرب التي قاتل فيها أبناء هذا الوطن بكل بسالة

وشجاعةٍ دفاعًا عن وطنهم الغالي فأصبحوا أبطالاً خلد التاريخ ذكرَاهم ضحوا  
بالغالي والنفيسِ ضحوا بأرواحهم ليحيا غيرهم فهنيئًا لهم .

هؤلاء الشهداءُ أرفعُ الناسِ درجةً بعدَ الأنبياءِ والصدّيقين، يقولُ تعالى (وَمَنْ يُطِعِ  
اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ  
وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) [النساء: ٦٩].

وهذا فضلٌ من الله يؤتيه من يشاءُ من عباده ، فالشهادةُ إذن مكانةٌ خاصةٌ لبعض  
الناس الذين أرادَ اللهُ أن يرفعَ درجاتهم، واختارهم لهذا الفضل وهذه المكانة قال  
تعالى: (وَلْيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ) [آل عمران: ١٤٠]

\* فالشهادةُ منحةٌ وليست محنةً، إذا أرادَ اللهُ أن يرفعَ درجةَ إنسانٍ اختاره شهيداً.  
ومنحه هذا العطاء العظيم .

قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمْ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي  
سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى  
بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم)  
[التوبة: ١١١]

\* هؤلاء الشهداءُ لما علموا أنها تجارةٌ رابحةٌ وعلموا أن الذي وعد بذلك هو اللهُ  
ومن أوفى بعهدِهِ من الله ما خافوا ولا فزعوا بل تقدموا بقوةٍ وثباتٍ لا يهابون  
الموتَ.

أحبتني في الله:-

إن لذةَ الشهادةِ في سبيلِ الله لا يُحصيها قلمٌ، ولا يصفها لسانٌ، ولا يحيطُ بها بيانٌ..  
ولو أننا أردنا أن نذكرَ ما أعده اللهُ جل وعلا للشهداء ما وسعنا الوقتُ ولكن  
حتى لا أطيلُ على حضراتكم أقول لكم يكفيني في هذا المقام أن نذكرَ هذا الحديث  
الجامعَ الشافي الوافي.

عن المقدم بن معدي كرب قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم (للشهيد  
عند الله ست خصالٍ: يُغفرُ له عند أولِ دفعةٍ من دمه، ويرى مكانه في الجنة، ويأمن

من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما عليها، ويزوج ثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين من أهله؛  
رواه أحمد وابن ماجه،  
وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (الشهيد يشفع في سبعين من أهل بيته).

!!فأي فضل أعظم من ذلك فهنيئاً للشهداء..

أحيتي في الله :- لو أردنا أن نتكلم عن فضل الشهادة ومنزلة الشهداء ما وسعنا الوقت فما أعدّه الله جل وعلا للشهداء يعجز اللسان عن وصفه. تعالوا بنا لنلقي نظرة أخرى علي أمر من الأمور الهامة ألا وهو فلسفة الحرب في الإسلام ولسائل أن يسأل ما الحكمة من الحرب؟  
\*\*بداية أقول :- إن الحرب في الإسلام ليست حرباً همجية ولا عدواناً سافراً ولا قتالاً مجرّداً من كل خلق وفضيلة، فالإسلام دين لا يحب سفك الدماء ولا يدعو إلى الحرب من أجل الحرب ولا يهدف إلى إهلاك الخلق ولا إلى إبادة البشرية، بل هو رسالة الرحمة والرأفة ورسالة نشر السلم والأمن والأمان .

فالسلم هو الأصل في دين الإسلام ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه ويوجههم فيقول لهم مريباً: (لا تتمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية..).

\*\*كما جعل الله تعالى السلام هو أصل العلاقة بين المسلمين وغيرهم ، ونهى المسلمين عن حرب غيرهم إلا إذا اعتدى غيرهم عليهم ، فوضع قاعدة ذهبية في التعامل مع الغير بقوله تعالى: (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرؤهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين) [المتحنة : ٨].

فالمسلم بطبيعته يكره القتل والدماء، قال تعالى (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ) [البقرة: ٢١٦].

ومن ثمَّ فهو لا يبدأ أحدًا بقتال، بل إنه يسعى بكلِّ الطرق لتجنُّب القتال وسفك الدماء، وإن المتأمل في كتاب الله تعالى يجد ما يؤيِّد هذا المعنى جيِّدًا، فالإذن بالقتال لم يأت إلا بعد أن بدىَّ المسلمون بالحرب، وحينئذ لا بدِّ من الدفاع عن النفس والدين، قال تعالى: (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير \* الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله) [الحج: ٣٩ - ٤٠]. فالعلة من القتال واضحة في الآية، وهي أن المسلمين ظلموا وأخرجوا من ديارهم بغير حق.

وقال تعالى: (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) [البقرة: ١٩٠]، فلما جاء الأمر بالقتال جعل الإسلام للحرب فلسفة ومبادئ وقواعد عملية عدَّة يجب اتباعها لتخفف من أهوالها، وجعل التعدي على هذه المبادئ وإهمالها إثماً عظيماً

\* هذه المبادئ (منها ما يكون قبل الحرب)، (ومنها ما يكون أثناء الحرب) (ومنها ما يكون بعد الحرب).

\*\* ولقد طبَّق الصحابة رضوان الله عليهم مبادئ الحرب في الإسلام أروع تطبيق، وتحلَّوا بأخلاق محاربي الإسلام، وقد كان الخلفاء الراشدون يأمرُّون قوَّاد الجيش بما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدم قتل النساء والأطفال والشيوخ والعباد، والامتناع عن قطع الأشجار وذبح الحيوانات بدون سبب، فهذا أبو بكر الصديق خطب في جيش أسامة بن زيد قبل إرساله للحرب، منادياً بهذه المبادئ.

كما ورد في وصيته رضي الله عنه ليزيد بن أبي سفيان الموجه إلى الروم بالشام: «.. إنى موصيك بعشر: لا تقتلن امرأة، ولا صبياً، ولا كبيراً هرمياً، ولا تقطعن شجراً مثمراً، ولا نخلاً، ولا تحرقها، ولا تخربن عامراً، ولا تعقرن شاةً ولا بقرةً إلا لمأكله، ولا تجبن، ولا تغلل (لا تنهب) وسوف تمر بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع؛ فدعهم وما فرغوا أنفسهم له، إلي آخر ما وصاه.

\*كما أن التاريخ الإسلامي حافل بنماذج من التزام الصحابة بمبادئ الحرب وأخلاقها .

\*\*فهذا خالد بن الوليد رضي الله عنه، يطبق مبادئ الحرب، من خلال دعوته لجرجة وهو أحد قواد جيوش الروم إلى الإسلام وإخباره له بأن من يدخله قد يكون له أجر السابقين وأكثر، فافتتح جرجة ودخل في الإسلام وقاتل تحت راية الإسلام في معركة اليرموك، عرض خالد الإسلام على أهل الحيرة عندما خرج إليه سادتهم وكبرائهم .

\*\*وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه.. يوجه قادة الجيش بقوله لهم (لا تُسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينقص منها ولا من خيرها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم).. وقد أعطى الأمان لأهل القدس ومنح لهم حريتهم الدينية والسلامة لكنائسهم .

\*\*وهذا أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز يضرب أروع المثل في عدم المساس بأماكن العبادة من خلال موقفه من (كنيسة يوحنا) في دمشق حينما هدم الوليد بن عبد الملك جزءاً كبيراً من الكنيسة ليقيم عليها المسجد الأموي المشيد، فلما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة شكاه إليه نصارى دمشق ما حدث لكنيستهم، فأصدر أمره بهدم هذا الجزء من المسجد وإعادة الأرض التي أقيم عليها إلى الكنيسة .

#أحبتني في الله :- لم يعرف الناس قبل الإسلام ضوابط لإدارة وإنسانية الحرب، ولا التفت أحد لترويض وحشيتها والتخفيف من ويلاتها، فجاء رسول الإسلام عليه السلام يقول لأصحابه رغم حزنه الشديد على مقتل عمه وحببه حمزة والتمثيل به: «إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور»، ويرفض التمثيل بسهيل بن عمرو رغم إساءته الشديدة إليه وإلى الإسلام، ويقول: «لا أمثل به فيمثل الله بي ولو كنت نبياً»؛ ويوصي أصحابه رضوان الله عليهم بالالتزام بمبادئ الحرب التي تحث على الاخلاق والرحمة ..

\*\*أحبتني في الله :- هذا هو إسلامنا وهذه هي أخلاقه ومبادئه وفلسفته في الحرب  
فما بالك في السلم. ومن هنا أردت أن أوجه في ختام حديثي رسالة لهؤلاء الذين  
ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا هؤلاء الإرهابيين  
الذين قاموا بقتل الأبرياء من الناس بل ما احترموا قدسية أماكن العبادة فما سلم  
منهم مسجد ولا كنيسة قتلوا المصلين العزل .

أقول لهم ماذا ستجنون من وراء ذلك وماذا ستقولون لربكم غدا انتبهوا قبل  
فوات الأوان قبل أن تقول نفس يا حسرتي علي ما فرضت في جنب الله.

ولكن وقتها لن تنفعكم الحسرة ولا الندم، اجلسوا مع أنفسكم وفكروا بعقولكم  
لا بعقول غيركم لا تسمحوا لأحد أن يسيطر علي عقولكم ويقوم بالغائها افهموا  
دينكم حافظوا علي أوطانكم لتعيشوا آمنين سالمين في دنياكم وآخرتكم..

\*\*

أسأل الله تعالى أن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه وأن يرينا الباطل باطلاً ويرزقنا  
اجتنابه وأن يحفظ أوطاننا من كل سوء..

\*\*

كتبه :الشيخ / كمال السيد محمود محمد المهدي..  
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف المصرية